المحاضرة الخامسة : الهجرة الى الحبشة

تعد الهجرة من أهم الاحداث المفصـــلية في تاريخ عصـــر الرســـالة على وجه الخصـــوص وتاريخ الامة الاســـلامية عموماً ، إذ أمر النبي (ص واله) بعضـــاً من المســـلمين الهجرة الى الحبشـــة في بداية الدعوة الاســـلامية وجعل على رأســـهم جعفر بن ابي طالب ، ولدراســـة هذا الموضـــوع لابد من الاجابة على هذه التساؤلات :

١- مامعنى الهجرة وفق المنظور الاسلامي (القرآن والسنة النبوية) ؟
٢- هل كان الرسول (ص واله) حريصاً على ان تتكرر تجربة هجرة النبي موسى (ع) مع قومه ؟
٣- هل كانت الهجرة الى الحبشة هجرتين أم كانت واحدة ؟
٤- ماهي أسباب الهجرة ؟
٥- ماهي النتائج المتوخاة من الهجرة الى الحبشة ؟

اولاً : معنى الهجرة وفق المنظور الاسلامي (القرآن الكريم والسنة النبوية) :

عرف علماء اللغة العربية مفردة " الهجرة " على انها : خروج من أرض الى اخرى ، او انها إغتراب ، او نزوح ، او انتقال الافراد من مكان الى آخر سعياً للعمل او الاستقرار .

في حين نجد ان القرآن الكريم قد صنف الهجرة الى معنيين :

الاول : معنوي: بمعنى (الترك والاعراض)

والثاني : مكاني : بمعنى (الانتقال من مكان الى آخر)

يمكن تعريف الهجرة المعنوية : الانتقال من واقع الى آخر ضـمن الحيز المكاني ، ويعد هذا الصـنف مقدمة لحدوث الهجرة المكانية ، وقد أشار القرآن الكريم لهذا الصنف من الهجرة بقوله تعالى : **((ففروا الى الله))** ، وقولـه تعـالى : **((إني مهـاجر الى ربي))** ، فمعنى الفرار والهجرة في هاتين الآيتين (الفرار من عقيدة الشرك الى عقيدة الله تعالى ، أو من العصيان الى الطاعة ، أو من عذاب الله الى رحمته ، او من الظلمات الى النور او من الكفر الى النفاق ....) .

وهذا ما أكدته مجموعة من الاحاديث النبوية منها : قول الرسـول (ص واله) : **((أفضـل الهجرة أن تهجر ما كره الله))** ، وقوله : (ص واله) : **((أفضل الهجرة أن تهجر السوء))** ، **((المهاجر من هجر الخطايا والذنوب))** ، وقال (ص واله) مخاطباً من هاجر الى ارض الحبشة **((أنتم مهاجرون الى الله))** .

ايضـــاً هذا ما أكده الامام علي (ع) بقوله : **((يقول المهاجر هاجرت ولم يهاجر ، إنما المهاجرون الذين يهجرون السيئات ولم يأتوا بها))** .

إما الهجرة المكانية وفق المنظور الاسلامي : فهي الانتقال من دار الظلم ولو كانت مسلمة الى دار العدل ولو كانت كافرة فراراً بدين الله ، حيث قال تعالى : **((إن الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفســـهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها))** .

إذن الهجرة وفق المنظور الاسلامي (المعنوية والمكانية) هي الدعوة الى الله سواء في نفس الحيز المكاني او في مكان آخر إذا كان المحيط المراد تغييره ملوثاً ، لكن ضـمن آليات صـحيحة ، لذلك جعل القرآن الكريم المهاجرين في الدرجات الرفيعة **((والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في ســبيل الله بأموالهم وأنفســهم أعظم درجة اولئك هم الفائزون))** .

<u>ثانياً : تجربة هجرة النبي موسى (ع) مع بني إسرائل :</u>

أن تجربة النبي موسى (ع) المتمثلة في هجرته مع قومه من أرض مصر هرباً من ظلم فرعون ، باحثين عن موطن لهم ، كانت ماثلة أمام أنظار النبي (ص واله) ، فكان (ص واله) حريصـــاً على تجنب تكرار حدوث ذلك مع المسلمين ، فأعد كوادر من المسلمين رسخ عندهم قيم ومباديء الاسلام واخلاق القرآن الكريم ، حتى اصبح وجودهم يهدد الزعامات القرشية ، فبات المجتمع المكي يرفض وجودهم فصار حالهم كحال آل لوط ، **((فما كان جواب قومه إلا إن قالوا إخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم اناس يتطهرون))** ، فعملية رفض المجتمع المكي للمسـلمين ومحاربتهم لهم سـهلت تقبل فكرة الهجرة لدى المسـلمين ، فكانت الانطلاقة الاولى عبارة عن بعثة إستطلاعية في السنة الخامسة للبعثة بأعداد لم تتجاوز (١٥) نفراً وعلى رأسهم عثمان بن مظعون ، ثم حدثت بعد ذلك الهجرة الى الحبشـة بأعداد كبيرة (٨٣) رجلا و (١٩) امرأة وعلى رأسـهم او اميرهم جعفر بن ابي طالب في السنة نفسها .

ثالثاً : هل كانت هجرتين أم كانت هجرة واحدة :

من المرجح إنها هجرة واحدة على رأسها جعفر بن ابي طالب بدليل قول الرسول الكريم (ص واله) لملك الحبشـــة : ((قد بعثت اليكم ابن عمي جعفر بن ابي طالب ، نفر من المســـلمين فإذا جاؤوك فأقرهم ...)) ، فكما قلنا ان الهجرة الى الحبشـــة كانت على دفعتين الاولى كانت عبارة عن حملة استطلاعية للتعرف على الاوضـاع في الحبشة ، فلم يزودهم الرسول الكريم (ص واله) بأي كتاب رسمي لملك الحبشة ، إما الثانية فهي الهجرة الحقيقية .

رابعاً : أسباب الهجرة الى الحبشة :

هاجر المســـلمون الى الحبشـــة بأمر الهي وتخطيط من رســـول الله (ص واله) ، وقد أوعز المؤرخون ان السـبب الرئيسـي للهجرة هو ضـغوط المشـركين واضـطهادهم للمسـتضـعفين من المسـلمين ، لكن هذا الرأي يضـــعف مقابل هذا النص ، حيث يروى ان بعض المســـلمين شـــكوا لرســـول الله (ص واله) ســـوء معاملة المشركين فقال لهم الرسول (ص واله) : ((**شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تســـتنصـــر لنا الا تدعوا لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالميشـار فيوضـع على رأسـه فيجعل نصـفين ويمشـط بأمشـاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه والله ليمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تســتعجلون**)) ، يمكن ان نلمس في لغة خطاب النبي (صـــلى الله عليه واله وسلم) شيء من اللوم و العتاب اضافة الى محاولته جعلهم يتحلون بالصبر من خلال التأسي بمن سبقهم ، اذن لم تكن سوء معاملة المشركين لمن اسلموا السبب الرئيسي للهجرة بل ان هناك اسباب اخرى تكمن خلف تلك المعاملة و يمكن ان تتجلى لنا هذه الاسباب من خلال معرفة مكان الهجرة الذي اختاره النبي محمد (صـلى الله عليه واله وسلم) ليكون ملاذا للمسلمين الذي قال : ((**ان بارض الحبشـة ملكاً لا يظلم عنده احد فألحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا و مخرجا مما انتم فيه**)) ، فأن صح الايذاء سبباً اساسياً

للهجرة فبما يفسر قلة عدد من شاركوا في الحملة الاستطلاعية ولما لم نجد المهاجرين من المستضعفين بل العكس من ذلك نجدهم كانوا من اثرياء و وجهاء مكة كعثمان بن عفان و عبد الرحمن بن عوف و الزبير بن العوام و مصعب بن عمير و عثمان بن مظعون وغيرهم فهل عجزت العصبية القبلية عن حمايتهم والدفاع عنهم ؟! ام ان اختيارهم هو جزء من سياسة النبي محمد (صلى الله عليه و اله وسلم) لتحقيق ما كان يرجوه من هذه الهجرة ؟ يبدو من خلال قلة العدد واسماء من اشتركوا في الحملة الاستطلاعية انما كانوا بمثابة وفد ارسله النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) لتأمين الوضع و ضمان استقبال النجاشي ملك الحبشة للقادمين الجدد من المسلمين و لهذا كان المشركين جادين في محاولة منعهم من الوصول الى الحبشة ، لما قد يحدثه من تغيير معنوي ومادي لصالح المسلمين ، ويمكن بيان الاسباب الحقيقية للهجرة بالاتي :

١- **السبب الديني :** تدين الحبشة و ملكها بديانة سماوية و هي النصرانية و تصديقهم دعوة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) و اجارتهم للمسلمين اعتراف يؤكد مصداقية النبي (صلى الله عليه و اله وسلم) فيما يدعو الناس اليه و كلا الديانتين النصرانية و الاسلام لهما منبع واحد ، فلا بد من تسديد ضربة لكبرياء قريش ولو نفسياً لتدرك ان قضية الدين تتجاوز حدود تصوراتها وقدراتها، وتحدثنا الروايات ان النجاشي ملك الحبشة قد أسلم سراً على يد جعفر بن ابي طالب حتى ان رسول الله (ص واله) صلى عليه حينما مات ، فكان للنجاشي المؤهلات الكامله لتقبل الاسلام فهذا الامر ساعد كثيرا على ايواء ومناصرة المسلمين .

٢- **السبب السياسي :** ان امكانية حدوث تعاون بين الحبشة و المسلمين يعني خلق حليف قوي للمسلمين ممكن اللجوء اليه في صراعهم ضد المشركين ، فالهجرة الى الحبشة لم تكن هجرة البحث

عن وطن بل هي هجرة البحث عن نصير وملاذ آمن لتعزيز العلاقات الخارجية للمسلمين والتعريف بقضيتهم وصدق ما يحملون من معتقد وديانة .

٣- **السـبب الجغرافي** : السـر الحقيقي لإختيار ارض بلاد الحبشـة لانها بعيدة عن النفوذ الفارسـي والروماني والقرشي ، فلا يمكن لقريش الوصول اليها بسهولة على ظهر جواد او راحلة ، ولأن قريش يصعب عليها ركوب السفن عبر البحار والقتال بالبحر لذا جاء اختيار ارض الحبشة .

٤- **السبب الاقتصادي** : ترتبط مكة بعلاقات تجارية وثيقة مع الحبشة و قد يؤثر تواجد المسلمين في الحبشة على هذه العلاقات سلباً .

خامساً : نتائج الهجرة الى الحبشة :

١- فشل المشركون و عجزهم عن اللحاق بالمسلمين ، الذين استقلوا سفينة فعبروا بها متجهين نحو الحبشة حيث استقروا هناك و نعموا بأفضل معاملة دفع ذلك المشركين الى التشديد و التضييق على المسلمين لمنعهم الخروج من مكة حتى بلغ بهم الامر اعلان المقاطعة الاجتماعية و الاقتصادية للمسلمين و بني هاشم في شعب ابي طالب في السنة السابعة للبعثة.

٢- أثر وجود المسلمين في أرض الحبشة على العلاقات التجارية التي تربط مكة بالحبشة .

٣- وكان وجود المسلمين في الحبشة ، قد تسبب للنجاشي ببعض المتاعب ؛ حيث اتهمه أهل بلاده بأنه خرج من دينهم فثاروا عليه ، ولكنه استطاع أن يخمد الثورة بحسن إدراكه ووعيه ، واستمر المسلمون عنده في خير منزل ، وخير جار ، حتى رجعوا إلى المدينة.

٤- أدركت قريش أن الاستمرار في تعذيب المسلمين ، الذين أصبحوا متفرقين في مختلف القبائل ، لم يعد له جدوى كبير ولا جليل أثر ، إن لم يكن سبباً في إثارة حرب داخلية ، تكون عواقبها السيئة على

سـمعتها وكرامتها كبيرة وخطيرة ، حينما لا توافق كل قبيلة على التصـفية الجسـدية للمنتمين إليها ، للمنطق القبلي الذي ما زالوا يتعاملون على أســـاســـه ، حتى في مواقفهم من هذا الدين الجديد ، ومناهضتهم لمحمد (صلى الله عليه وآله) ، ودعوته ، رغم إجماعهم على العداء له ولها .

٥- لقد رأت قريش : أن محمداً (صـلى الله عليه وآله) يريد أن تكون دعوته إنسـانية عالمية ، لا تختص بعرب مكة والحجاز وأدركت أن هجرة هؤلاء إلى الحبشة لم تكن متمحضة في الهروب من التعذيب ، لأن الكثيرين من أولئك المهاجرين لم يكن ممن يعذب .

٦- وبعد أن صـحا مشركو مكة من عنف الصـدمة ، (ورأت قريش استقرارهم في الحبشـة وأمنهم) ، على حد تعبير البعض ائتمرت فيما بينها ، وقررت إرســـال رجلين من قبلها إلى الحبشـــة لاســـترداد المهـاجرين ، ووقع اختيـارهم على عمرو بن العـاص ، ويقـال : وعلى عمـارة بن الوليـد أيضـــاً ، فأرسـلوهما إلى النجاشـي بهدايا له ولبطارقته ، لكن النجاشـي رفض تسـليم المسـلمين بسـبب حنكة وكياسة جعفر بن ابي طالب الذي استطاع اقناع النجاشي ومن حوله بالدخول بالدين الاسلامي ولو سراً ، وهذا يفسر لنا اختار النبي (ص واله) لجعفر بن ابي طالب ليكون امير الهجرة الى الحبشة ، فهجرة جعفر إلى الحبشـة ، لم تكن بسـبب تعرضـه للتعذيب من قبل قريش ، فقد كانت قريش تخشـى مكانة أبي طالب ، وتراعي جانبه ، وجانب بني هاشم بصـورة عامة ، وإنما أرسـله النبي (صـلى الله عليه وآله) مع المهاجرين ليكون أميراً عليهم ، ومدبراً لأمورهم ، ومشـرفاً على شـؤونهم ومصـالحهم ، وحـافظاً لهم من أن يذوبوا في هذا المجتمع الجديد ، فســـر نجـاح الهجرة الى الحبشـــة هو الدور الجهادي لجعفر بن ابي طالب الذي ثبت ركائز الاســـلام في الحبشـــة فكان يزور البطارقة ويدعوهم

الى الاســلام ، واســتمرت مهمته الجهادية حتى فتح خيبر فقال رســول الله (ص واله) حينما جاء جعفر : **((ما أدري بأيهما أسرّ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر))** .

٧- لقد أدركت قريش ، أن معنى هجرة المسـلمين هذه ، وخروجهم من تحت سـلطتها ، هو أنها سـوف تكون أمام مواجهة شــاملة ، وأن مصــالحها في معرض التهديد والبوار ، وقد رأت أن أبا ذر بإقامته بعســـفان على طريق القوافل ، وكلما أقبلت قافلة لقريش احتجزها حتى يقولوا : لا إله إلا الله وأن محمداً رسـول الله (صـلى الله عليه وآله) ، وظل على ذلك إلى ما بعد حرب أحد ، قد ضـايقها تلك المضـايقة الشـديدة مع العلم بأن القضـاء على حركته ربما يكون أسـهل وأيسـر ، لأنه في منطقتها ، ويمكن تطويقه ، والحد من نشاطه بسرعة ؛ لأنه بين أمة كلها تدين لقريش بالولاء ، وتقول بمقالتها ، كما أنهم ينظرون إليه على أنه غريب ومعتد .

٨- إذن فإن وجود المسلمين ، وهم من قريش في الصـميم في منطقة بعيدة عن نفوذ القرشيين وسلطانهم ، وفي ملجأ أمين ، ومنطلق مطمئن ، ليشـكل أعظم الأخطار على قريش ومصــالحها ، الأمر الذي يحتم عليها التريث والصـبر ، وإحكام التدبير ، لا سـيما وأنها لا تجد إلى تصـفية النبي (صـلى الله عليه وآله) جسدياً حيلة ، ولا إلى إسكاته سبيلاً ، ما دام في حماية شيخ الأبطح ، أبي طالب (عليه السـلام) والهاشـميين ، باسـتثناء أبي لهب لعنه الله ، فأرسـلت إلى النجاشـي ممثلين عنها لاسـترداد المهاجرين ، فرجعا إليها بالفشل الذريع والخيبة القاتلة ، فأفقدها ذلك صوابها وأصبحت تتصرف بدون وعي ، ولا تدبر ، فعدّت من جديد على من تبقى من المسلمين بالعذاب والتنكيل .

٩- اصــبحت قريش تتعرض للنبي (صــلى الله عليه وآله) بالســخرية ، والاســتهزاء ، والاتهام بالجنون والسحر ، والكهانة ، وبأنواع مختلفة من الحرب النفسية والأذى .